إزالة الإشكال
عن آية بورك من في النار

اعداد

منصور بن حمد بن العيدي
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية
في
كلية التربية – جامعة الدمام
بالمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

أما بعد فقد قضت حكمة الله تعالى في كتابة الكريم أن جعل منه آيات متشابهات يزيغ فيها أهل الباطل ويزداد فيها الذين آمنوا إيمانا، ويظهر فيها شرف العلماء حين يتمكنون من ردّ الباطل المتوهَّم عن الآية، وفي ذات الوقت يحملون الآية على أحسن محاملها ويردّونها إلى المحكم من الآيات. وهذه الآية الكريمة التي سأتناولها بالدراسة تُعدّ مثالاً على آية متشابهة الأمر الذي يستدعي الوقوف عندها ، وتجلية حقيقتها، والكشف عن مراد الله –جل جلاله فيها–.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

إضافة إلى ما تقدّم ثمة أمورٌ أخرى تؤيد أهمية البحث في هذه الآية الكريمة وهي :

١- إن هذه الآية الكريمة على وجازتها– وهي قوله تعالى{فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ } النمل: ٨ قد وقع النزاع في غير مفردة من تركيبها وذلك في أمور ثلاثة :

الأول : المراد بالنار.

الثاني : المراد باسم الموصول في قوله تعالى{أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ }

الثالث : المعنيون بمن حول النار . وإذا كانت أي آية قرآنية يقع نزاع في تفسيرها يستدعي دراسة مقارنة فلا شك أن آية النمل بأبعادها العقدية من باب أولى لا سيما وأن المفسرين إلى يومنا هذا يضطربون في معناها .

٢- ما لحظته من أن عدداً من المفسرين تناولوا هذه الآية بمقررات عقدية سابقة أثرت على ترجيحهم .

٣- أن بعض من نقل كلام السلف في تفسيرها قد حمّله ما لا يحتمل وأساء فهمه ونسب لهم ما هم منه براء .

٤- أن بعض العلماء وصف هذه الآية بأنها الأكثر إيهاماً في القرآن الكريم[1].

٥- أن هذه الآية يوردها النصارى على المسلمين، كما يحتجّ بها أهل الحلول والاتحاد .

فلكل هذه الأسباب رأيت من الأهمية إفراد هذه الآية الكريمة ببحث تفسيري مقارن .

---

١ فيض الباري شرح صحيح البخاري ٢٧١/٧٦ ، ٤٠٤ .

الدراسات السابقة :

لم أجد من أفرد هذه الآية الكريمة ببحث مستقل ، وإنما يتناولها المفسرون تناولهم بقية الآيات ، والغالب منهم عدم الإطالة في ذلك فضلا عن إجراء دراسة مقارنة.

المنهج العلمي :

سيعمد الباحث إلى اعتماد المنهج الاستقرائي الموصول بالتحليل ويتمثل باستقصاء آراء المفسرين في هذه الآية قديماً وحديثاً ثم مناقشة الأقوال والخروج بالقول الراجح .

المنهج العملي :

جعلت هذا البحث في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : خلاف المفسرين في المراد من النار .

المطلب الثاني : خلاف المفسرين في المراد من الاسم الموصول في قوله تعالى {أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ }

المطلب الثالث : خلاف المفسرين في المعنيين بمن حول النار .

ثم ذكرت بعد ذلك خاتمة تتضمن أبرز النتائج والتوصيات ثم فهرساً للمراجع والموضوعات .

ومن الله استمد التوفيق ، وعليه أتوكل وهذا أوان الشروع في المقصود.

المطلب الأول : خلاف المفسرين في المراد من النار:

اختلف المفسرون في المراد من النار على أقوال :

القول الأول : إن هذه النار هي حجاب النور لرب العالمين . وبه قال ابن عباس[1] ، وسعيد بن جبير في رواية[2] ، ومحمد بن كعب القرظي[3] ، وقتادة[4] ، والحسن[5] ، وعكرمة[6] ، ويحيى بن سلام[7] .ونسبه البغوي[8] والسمعاني[9] لأكثر المفسرين .قال الواحدي : (ومذهب المفسرين أن المراد بالنار النور)[10] .

واستدلوا بحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم):« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ–وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ[11] النَّارُ–لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ »[12] ثم قرا أبو عبيدة – الراوي عن أبي موسى أن بورك من في النار ومن حولها[13] .

---

١ ورد عنه من رواية سعيد بن جبير وعكرمة والسدي والعوفي. ابن أبي حاتم ٢٨٤٣،٢٨٤٥/٩ وطريق عكرمة إسنادها حسن وأما طريق سعيد بن جبير فقد قال عنها الذهبي إسنادها صالح .العلو للعلي الغفار رقم ٢٩٧ . والطريقان الباقيان يُعتبر بهما فلا شك في ثبوته عن ابن عباس رضي الله عنهما . المقدمات الأساسية في التفسير ص ٣٣٦ ، أسانيد نسخ التفسير ص ٣٤٦ .

٢ تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٦/٩ .

٣ الدر المنثور ٣٤١/٦.

٤ تفسير عبد الرزاق ٤٧٢/٢ .

٥ المصدر السابق . ٤٧٢/٢ .

٦ تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٥/٩ .

٧ تفسير يحي بن سلام ٥٣٤/٢ .

٨ معالم التنزيل ١٤٤/٦ .

٩ تفسير السمعاني ٧٨/٤

١٠ الوسيط٣٦٩/٣ولم يذكر في بسيطه غيره١٦٦/١٧.وذكره الشوكاني عنه و لم يتعقبه.فتح القدير١٢٧/٤.

١١ هو ابن أبي شيبة

١٢ صحيح مسلم برقم ٤٤٥ .

١٣ تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٥/٩ .

والتعبير عن النور بالنار في الآية الكريمة إما لكون موسى عليه السلام ظنها نارا[1] ، وإما لصحة إطلاق أحدهما على الأخر كما هو صنيع بعض رواة الحديث المتقدم.

قال الثعلبي: (والعرب تضع أحدهما مكان الآخر)[2].

القول الثاني: إن هذه النار هي أحد حجب الله تعالى-وهو غير حجاب النور المُتقدّم-.

روي عن سعيد بن جبير .

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ قَالَ : (حِجَابُ الْعِزَّةِ ، وَحِجَابُ الْمُلْكِ ، وَحِجَابُ السُّلْطَانِ ، وَحِجَابُ النَّارِ ، وَهِيَ تِلْكَ النَّارُ الَّتِي نُودِيَ مِنْهَا . قَالَ : وَحِجَابُ النُّورِ ، وَحِجَابُ الْغَمَامِ ، وَحِجَابُ الْمَاءِ)[3] .

وأجيب عنه بأنه لا يصح عن سعيد[4] ، والرواية المتقدمة أصح عنه ، وعلى فرض الصحة فهذا القول مما لا يُقال بالرأي ، وحيث إن سعيداً تابعي فيكون هذا الأثر في حكم المرسل[5] وهو من أقسام الضعيف[6] .

الترجيح :

الصواب هو القول الأول ؛ لأنه المشهور عن السلف ، ولأنه ثابت عن ابن عباس ومثله لا يُقال بالرأي فله حكم الرفع[7] .

---

١ تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٣/٩ ، تفسير يحي بن سلام ٥٣٤/٢ .

٢ الكشف والبيان ١٨٩/٧ ،تفسير القرطبي ١٥٩/١٣ .

٣ تفسير الطبري ١٢/١٨ .

٤ يرويه ابن جريج واختلف عليه فتارة عنه عن سعيد وعلى هذا فهو منقطع لأنه لم يسمع منه ، وتارة يرويه ابن جريج عن مجبر عن سعيد ولا يعرف لمجبر سماع عن سعيد كما أنه مجهول الحال . تفسير الطبري ١٢/١٨ ، العظمة ٧١٨/٢ ، تعجيل المنفعة ص ٢٥٨.

٥ تدريب الراوي ١٨٦/١ .

٦ فتح المغيث ١٦٥/١ . وقد اشبع المسألة بحثا العلائي في كتابه جامع التحصيل . ص٣٣-٩٧ .

٧ وابن عباس ليس مشهورا بالأخذ عن بني إسرائيل بل كان ينهى عن ذلك كما في البخاري برقم ٢٦٨٥ . وبخصوص حكم الرفع ينظر شرح شرح نخبة الفكر لعلي القارئ ص ٥٤٨ .

المطلب الثاني : خلاف المفسرين في المراد من الاسم الموصول في قوله تعالى {أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ}

اختلف المفسرون في المراد من اسم الموصول في قوله تعالى: {أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ }على أقوال :

القول الأول:أن الله تعالى عنى بذلك نفسه.وبه قال ابن عباس في رواية[1]، وسعيد بن جبير[2]،وعكرمة[3]،وأبو صخر[4]،ويحيى بن سلام[5]،وحكاه شيخ الإسلام مقرراً له[6]،واختاره الألوسي[7]

---

١ وردعن ابن عباس من طريق عطاء عن سعيد بن جبير ، وعطاء مختلط وقد رواه عنه ورقاء بن عمر وشريك ولا يعرف أرويا عنه قبل الاختلاط أم بعده – وإن كان ثمة قرائن أنهما أخذا قبل الاختلاط فكلاهما كوفي وعامة من أخذ عن عطاء بعد الاختلاط بصري،وورقاء متقدم في الأخذ عن عطاء من طبقة سفيان الثوري، ولورقاء حكاية مع شعبة يُفهم منها أنه أخذ عن عطاء قديما، وأما شريك فموصوف بأنه من أعلم الناس بحديث الكوفيين–كما روي عن ابن عباس من طريق العوفي وهي وإن كانت ضعيفة غير أن عدداً من الباحثين يرجحون صحتها لكونها صحيفة مشهورة والإسناد بالنسبة لها مجرد حلية. غير أن الاحتياط الاقتصار على صلاحيتها للاعتبار لا للاحتجاج . وخلاصة الأمر أن الطريقين إلى ابن عباس يرتقيان إلى مرتبة الحسن لا سيما ونحن أمام أثر موقوف لا مرفوع . قال الألوسي : واشتهر هذا عن ابن عباس. تفسير مجاهد ٤٦٩/٢ ، تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٥/٩ ، تفسير الطبري ١٠/١٨،روح المعاني ١٦١/١٩

٢ تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٥/٩ ، ٢٨٤٦ . وسنده متصل رجاله ثقات سوى عطاء بن السائب فإنه اختلط ولا يضر اختلاطه هنا لأن الراوي عنه ورقاء وتقدّم قريبا أنه متقدم في الأخذ عنه كما أن الأثر هنا عن تابعي وليس مرفوعاً فلا يخشى من اختلاطه فإن الخشية من المختلط هي في رفع ما ليس بمرفوع كما قال الإمام أحمد وابن أبي حاتم. الكواكب النيرات ص٣٢٢ ، ٣٣١ .

٣ المصدر السابق . ٢٨٤٥/٩ ، ٢٨٤٦ . وإسناده صحيح رجاله ثقات معروفون

٤ المصدر السابق . ٢٨٤٥/٩ ، ٢٨٤٦ . وأبو صخر هو حميد بن زياد ، صاحب العباء ، جعله ابن حجر من السادسة وهي طبقة من عاصر صغار التابعين لكن لم تثبت رؤيته لصحابي غير أنه ذكر في التهذيب أنه رأى سهل بن سعد فيكون من صغار التابعين ، حسن الحديث ، سكن مصر توفي سنة ١٨٩هـ . تهذيب التهذيب ٤١/٣ .تقريب التهذيب ص ١٨١ ، تحرير تقريب التهذيب ٣٢٧/١ .

٥ تفسير يحيى بن سلام ٥٣٤/٢ .

٦ مجموع الفتاوى ١٣١/٥ .

٧ روح المعاني ١٧/١ .

وقد عدّ الطبري[1] وابن أبي حاتم[2] والواحدي[3] : الحسن البصري وقتادة من جملة القائلين بهذا القول وزاد ابن أبي حاتم محمد بن كعب القرظي .

يقول الحسن : ، فِي قَوْلِهِ {فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا } قَالَ : (هُوَ النُّورُ).

وقد وافق جماعة من المفسرين: الطبريَ وابن أبي حاتم على نسبة هذا القول للحسن[4].

ولعلهم جزموا بذلك أخذاً من عبارة ابن عباس في تفسيرها حيث قال : (يَعْنِي نَفْسَهُ) ؛ قَالَ : (كَانَ نُورُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الشَّجَرَةِ)[5].وعن قتادة : (نُورُ اللَّهِ بُورِكَ)[6] .

وتفسير قتادة يحتمل أن يكون هذا مُراده ، ويحتمل أن يكون مراده القول الثاني الآتي .

وقال محمد بن كعب : (النار نور الرحيم ضوء من نور الله عز وجل)[7] . ولفظه عند الطبري : قَوْلِهِ : {أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ }النمل: ٨ نُورُ الرَّحْمَنِ ، وَالنُّورُ هُوَ اللَّهُ[8] .

وتفسيره هذا ظاهر في أن المراد بذلك هو الله تعالى فعبارته أقل احتمالاً .

ويُلحظ أن هؤلاء الجلة من العلماء هم من نصّ على أن النار هي نور رب العالمين كما تقدّم .وقد روي عن جماعة من السلف حكاية ما رأى موسى عليه السلام.

---

١ تفسير الطبري ١٨/ ١٠-١١ .

٢ تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٧/٩ .

٣ التفسير البسيط ١٦٤/١٧ .

٤ الكشف والبيان ١٨٩/٧ ، المحرر الوجيز٥١٩/٦ ، زاد المسير ١٥/٥ ، تفسير القرطبي١٥٨/١٣، روح المعاني ١٦١/١٩، أضواء البيان ٣٦٩/٤ ،ونسبه لمحمد بن كعب أيضاً.وهنا أنبّه إلى أن السمعاني في تفسيره لم يُحرِّر الأقوال بشكلٍ جيد فجعل قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير هو القول الآتي وأن المراد بذلك:النور. وجعل قول الحسن وحده أن المراد بذلك الله نفسه تعالى . مع أن الحسن هو من تحتمل عبارته القول الثاني لا هؤلاء . تفسير السمعاني ٧٨/٤.

٥ تفسير الطبري ١٠/١٨ .

٦ تفسير الطبري ١٠/١٨ ، تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٦/٩ .

٧ تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٦/٩

٨ تفسير الطبري ١١/١٨ . ورغم أن عبارة محمد بن كعب أصرح من عبارة الحسن وقتادة إلا أن الطبري لم يعدّه من أصحاب هذا القول بل من أصحاب القول الثاني .

يقول ابن عباس:(فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله، فضل الطريق، وكان في الشتاء ورفعت له نار فلما رآها ظن أنها نار، وكانت من نور الله قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس فان لم أجد خبرا أتيتكم بشهاب قبس فبينا هو على ذلك إذ رمى بطرفه نحو فرعها فإذا أشد ما كان خضرة ، وإذا بخضرة ساطعة في السماء ينظر إليها تغشى الظلام ثم لم تزل الخضرة تنور وتسفر وتبياض حتى صارت نورا ساطعا عمودا ما بين السماء والأرض على مثل شعاع الشمس تلي[1] دونه الأبصار)[2].

وعن وهب بن منبه: (فلما رأى موسى وقف قريباً منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة يقال لها العليق ، لا تزداد النار إلا تضرماً وعظماً ، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسناً ، فعجب منها ودنا وأهوى إليها بضغث في يده ليقتبس منها ، فمالت إليه فخافها فتأخر عنها ، ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها إلى أن وضع أمْرها على أنها مأمورة ولا يدري ما أمرها)[3] . وقال ابن كثير : (فلما أتاها رأى منظرًا هائلا عظيمًا، حيث انتهى إليها، والنار تضطرم في شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا توقدًا، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء)[4].

القول الثاني : أن البركة عائدة إلى النار . وبه قال ابن عباس في رواية ومجاهد[5]

وأكثر المفسرين يرون أن هذا القول قول مستقل خلافاً لابن أبي حاتم الذي جعله عائداً للقول الأول[6].

---

١ في نسخ ابن أبي حاتم هكذا ولعلّ الصواب تَكلّ كما في الدر المنثور ٥/٥٥٥ ، وروح المعاني ١٦/١٦٧ وغيرهما .

٢ تفسير ابن أبي حاتم ٩/٢٨٤٣ . وإسناده لا بأس به . المقدمات الأساسية في علوم القرآن ص ٣٣٧ .

٣ النكت والعيون ٤/١٩٧ .

٤ تفسير ابن كثير ٦/١٧٩ .

٥ تفسير مجاهد ٢/٤٦٩ . تفسير الطبري ١٨/١١ . وجعل الطبري محمد بن كعب القرظي من القائلين بهذا القول مع أن عبارته أقرب للقول الأول . تفسير الطبري ١٨/١١ .

٦ تفسير ابن أبي حاتم ٩/٢٨٤٥ .

واحتجّ أصحاب هذا القول بالقراءة المروية عن أبي بن كعب : أن بوركت النار[1] .

قال الثعلبي : (وتقدير هذا التفسير أنّ (من) تأتي في الكلام بمعنى (ما) ، كقوله سبحانه: {وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ} الحجر: ٢٠ وقوله: {فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ }النور: ٤٥الآيةو(ما)قد تكون صلة في كثير من المواضع كقوله:{جُندٌ مَّا هُنَالِكَ} ص: ١١ و: {قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ} المؤمنون: ٤٠قمعنى الآية بورك في النار وفيمن حولها وهم الملائكة وموسى عليه السلام ، فسمّى النار مباركة كما سمّى البقعة مباركة فقال فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ)[2] .

القول الثالث : أن المراد الملائكة . روي عن السدي[3] ، وبه قال البغوي[4] واختاره النسفي[5] والشنقيطي[6] .وهذه الأقوال الثلاثة هي المروية عن السلف وما عداها من اجتهادات المتأخرين ، فمن ذلك :

القول الرابع : أن المراد موسى عليه السلام وعُبِّر عنه بفي الظرفية ؛ لكونه كان بقربها طالباً لها .قال ابن عاشور : (مراد به موسى فإنه لما حل في موضع النور صار محيطا به فتلك الإحاطة تشبه إحاطة الظرف بالمظروف، فعبر عنه بـ {مَن فِي ٱلنَّارِ}وهو نفسه)[7] .

وقال غيره : وهذا كما يقال : بلغ فلان البلد إذا قرب منه ، وورد فلان الماء لا يريدون أنّه في وسطه ، ويقال : أعط من في الدار ، يريدون من هو فيها مقيم أو شريك وإن لم يكن في

---

١ معاني القرآن للفراء ٢٨١/٢ ، تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٦/٩ ، الكشف والبيان ١٩٠/٧ . وفي المحتسب لابن جني أن قراءة أبي بن كعب هي : تباركت الأرض ١٣٤/٢ .

٢ الكشف والبيان ١٩٠/٧ .

٣ تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٦/٩ . وفي ثبوته نظر ففي إسناده يحيى بن يمان يرويه عن الثوري وقد ضعفه أحمد بن حنبل ، وقال : حدث عن الثوري بعجائب لا أدري لم يزل هكذا أو تغير حين لقيناه أو لم يزل الخطأ في كتبه ، وروى من التفسير عن الثوري عجائب.تهذيب الكمال ٥٧/٣٢ . لكن قد يُقال إن هذا من كلام السدي غير مرفوع فيُتسامح فيه والله أعلم.

٤ معالم التنزيل ١٤٤/٦ .

٥ تفسير النسفي ٥٩٢/٢ .

٦ أضواء البيان ٣٧٠/٤ .

٧ التحرير والتنوير ٢٢٦/١٩ .

الوقت في الدار ، ونحوها كثير)[1].وهذا تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة له، كما حيا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه، قال: { رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ }هود: ٧٣. وهو قول الزجاج[2]،وأبي علي الفارسي، والواحدي[3] وابن عاشور[4]ونسبه البغوي إلى قومٍ لم يسمهم[5] .

القول الخامس: أن المراد بذلك أن هذه البقعة بقعة مباركة . وهو قول الزمخشري[6] والسعدي[7] .واستدلّ هؤلاء بالآية الأخرى : { فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ }القصص: ٣٠ والقرآن يُفسّر بعضه بعضا ، واستدلوا كذلك بقراءة أخرى مروية عن أبي بن كعب : تباركت الأرض ومن حولها[8] .

القول السادس: أن المراد: الشجرة. ذكره أبو حيان و لم ينسبه لأحد[9] ، وأظنه قول الجبائي فقد نقل عنه الرازي قوله : (أن اللّه تعالى ناداه بكلام سمعه من الشجرة في البقعة المباركة فكانت الشجرة محلا للكلام ، واللّه هو المكلم له بأن فعله فيه دون الشجرة. ثم إن الشجرة كانت في النار)[10] .

مناقشة الأقوال :

أولاً : مناقشة القول الأول .

ردّ جماعة من المفسرين القول الأول بأن هذه العبارات المنقولة عن هؤلاء المفسرين عبارات شنيعة غير جائزة في حق الله تعالى ، وإذا كان الأمر كذلك فلا تصح عن قائليها! .

---

١ الكشف والبيان ١٩٠/٧ .

٢ إعراب القرآن المنسوب للزجاج ١٢٣/١ .

٣ البسيط ١٦٤/١٧ .

٤ التحرير والتنوير ٢٢٦/١٩ .

٥ معالم التنزيل ١٤٤/٦.

٦ الكشاف ١٣٧/٣ .

٧ تفسير السعدي ص٥٥٠

٨ المحتسب ١٣٤/٢ .

٩ البحر المحيط ٥٤/٧ .

١٠ مفاتيح الغيب١٥٦/٢٤

يقول ابن عطية : (وقوله تعالى {أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ }اضطرب المتأولون فيه فقال ابن عباس وابن جبير والحسن وغيرهم : أراد عز وجل نفسه ، وعبر بعضهم في هذا القول عبارات مردودة شنيعة)[1] .وقال الرازي : (نقطع بأن هذه الرواية[2] موضوعة مختلقة)[3] .وقال أبو حيان : (قال ابن عباس ، وابن جبير ، والحسن وغيرهم : أراد تعالى بمن في النار ذاته ، وعبر بعضهم بعبارات شنيعة مردودة بالنسبة إلى اللّه تعالى)[4] .وقال الشنقيطي : (وَهَذَا الْقَوْلُ بَعِيدٌ مِنْ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَقَ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ فِي النَّارِ الَّتِي فِي الشَّجَرَةِ ، سَوَاءٌ قُلْنَا : إِنَّهَا نَارٌ أَوْ نُورٌ ، سُبْحَانَهُ جَلَّ وَعَلَا عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ)[5] .وعلّق على كلام أبي حيان فقال : (أصاب في تنزيهه لله تعالى عن تلك العبارات)[6] .وما ذكره هؤلاء المفسرون من كون هذه العبارات شنيعة والرواية موضوعة ناتجٌ من كونهم حمّلوا كلام السلف ما لا يحتمل ، فالمقطوع به أن من روي عنهم هذا القول من السلف لا يريدون بأي حال من الأحوال أن الله جلّ جلاله قد حلّ في مخلوق أو أحاط به مخلوق ونحو ذلك ممّا لا يليق نسبته لله تعالى ، كما أنه ليس في عباراتهم أصلاً ما يشير لذلك ، فالواجب حمل كلامهم على أحسن المحامل ، ولهذا فما ذكره أبو حيان من أن كلام ابن عباس دال على التحيز[7] غير مقبول أبدا، ويُبرّه السلف الصالح عن كل معنى باطل في حق الرب – جل جلاله –كما أن الزعم بأن هذه الروايات عن السلف موضوعة مختلقة كلام لا قيمة له في ميزان البحث العلمي ، فهذه الروايات معلومة الأسانيد لا تقل عن درجة الحسن الاصطلاحي ، وقد استفاضت نسبة هذا القول إليهم[8] وإذا استثنينا الشنقيطي فإن هؤلاء الرادين لهذا القول هم

---

١ المحرر الوجيز ٥١٩/٦ .

٢ يعني عن ابن عباس .

٣ مفاتيح الغيب ١٥٦/٢٤ .

٤ البحر المحيط ٥٤/٧ .

٥ أضواء البيان ٣٦٩/٤

٦ أضواء البيان ٣٧٠/٤ .

٧ البحر المحيط٥٤/٧.على أن لفظ التحيز لفظ مجمل والقاعدة في الألفاظ المجملة في باب صفات الله –تعالى أنه يُنظر في مراد قائله فإن أراد به معنى باطلاً يكون مردوداً،وإن أراد به معنى صواباً قُبل.وأما اللفظ فيجب التوقف فيه على كل حال .شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص ١٥٨ .

٨ راجع القول الأول ص ٤–٥ .

ممّن يميل لنفي الصفات الإلهية بل الرازي إمام في ذلك[1]،فالظاهر أن الخلفية العقدية لهم كان لها أثر كبير في التعامل مع هذا القول[2] . غير أن طائفة من المفسرين حاولت توجيه هذا المروي عن السلف ، فمنهم من قال : من في النار قدرته وسلطانه[3] . وهو تأويل ضعيف لما فيه من صرف الكلام عن ظاهره دون دليل ، والأصل عدم الإضمار[4] ، ويُضعفه أيضاً أن كل شيء تحت سلطان الله وقدرته فلا وجه لتخصيص ذلك بالنار ، وليس هذا التأويل بمتضمنٍ لمعنى شريف يحسن معه تفسير كلام الله تعالى به .

وقال بعضهم في توجيه المروي عن السلف : إنه لّما كلّم الله موسى من هذا المكان وناداه فيه جاء التعبير بفي الدالة على الظرفية .

قال الثعلبي : (وتأويل هذا القول أنّه كان فيها لا على معنى تمكّن الأجسام لكن على معنى أنّه نادى موسى منها ، وأسمعه كلامه من جهتها وأظهر له ربوبيته من ناحيتها ، وهو كما روي أنّه مكتوب في التوراة : جاء الله عزّ وجلّ من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ، فمجيئه عزّ وجلّ من سيناء بعثته موسى منها ، ومن ساعير بعثته المسيح بها ، واستعلامه من جبال فاران بعثه المصطفى صلى اللّه عليه وسلّم ، وفاران مكة)[5] .

وهذا التأويل سائغ في لغة العرب ، لكن ينبغي أن يُثبت معه أن الله تعالى دنا من موسى دنواً يليق بجلاله سبحانه كما نصّ على ذلك كتاب ربنا . وعلى هذا فتشبيه ذلك النص القرآني بالمروي في التوراة غير دقيق .

وقال بعضهم : إن هذا نوع من التجلي الذي لا يلزم معه حلول ، وفي هذا ينقل الألوسي عن بعض الصوفية قوله : (ما يدل عليه[6] هو ظهوره سبحانه في النار وتجليه فيها وليس ذلك من الحلول في شيء فإن كون الشيء محلى لشيء ليس كونه محلا له فإن الظاهر في المرآة مثلا خارج

---

١ ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب حافلٌ في الرد عليه هو :بيان تلبيس الجهمية .

٢ يُنظر تقييم شيخ الإسلام لتفسير ابن عطية وتأثره بالأشاعرة في مجموع الفتاوى ٣٦١/١٣

٣ الكشف والبيان ١٩٠/٧ ، الوسيط ١٦٧/١٧.

٤ روح المعاني ١٦٢/١٩ ، أضواء البيان ٣٦٩/٤ .

٥ الكشف والبيان ١٦٩/٧ .

٦ أي تفسير ابن عباس .

عن المرآة بذاته قطعا بخلاف الحال في محل فإنه حاصل فيه ثم إن تجليه تعالى وظهوره في المظاهر يجامع التنزيه. ومعنى الآية عنده فلما جاءها نودي أن بورك أي قدس أو نحو ذلك من تجلى وظهر في صورة النار لما اقتضته الحكمة لكونها مطلوبة لموسى عليه السلام)[1] .ثم عقّب الألوسي بقوله : (وكأني بك تقول : هذا طور ما وراء طور العقول ... والأوفق بالعامة : التأويل ، بأن يقال : المراد أن بورك من ظهر نوره في النار)[2].

وفي هذا التوجيه من العسر ما ينافي يسر القرآن لمن أراد تدبره ، كما أن قوله تعالى : {فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا}الأعراف: ١٤٣ يفيد أنه لا شيء يقوم لمن تجلى له الله ، والقول بأن الله تعالى يظهر في صورة شيء أمر يحتاج إلى دليل بيِّن .وقال بعضهم في توجيه المروي عن السلف بأن في هنا بمعنى على.والتقدير:بورك من على النار. وهو:الله[3]. وفي هذا التوجيه ضعف ظاهر ؛ لأن مجيء (في) بمعنى (على) محل خلاف بين النحويين ، والأقرب عدم صحة ذلك على ما أوضحه ابن جني[4].

ولا ينبغي أن يُحمل النص القرآني على وجه ضعيف في العربية أو نادر ، وإنما على الفصيح أو الأفصح[5] .والأقرب حمل تفسير السلف في هذا على ما دلّت عليه نصوص كثيرة من أن الله تعالى كلّم موسى من هذا المكان من وراء حجاب النور، وأنه تعالى دنا من موسى على وجهٍ يليق بجلاله وأن هذا الدنو لا ينافي استواءه تعالى على عرشه، لاسيما وقد جاء في الأثر عن ابن عباس المتقدم أن هذا النور كان متصلاً بالسماء.وهنا أؤكد على أن الإيمان باستواء الله على عرشه وفي ذات الوقت الإيمان بأن الله تعالى يدنو من عباده كيف شاء متى شاء لا يجتمع إلا في قلوب أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح الذين علموا عظمة الله،وأنه فوق كل شيء،محيط بكل شيء،قادرٌ على كل شيء وإذا كانت السموات السبع والأرضون السبع في غاية الصغر بالنسبة لكرسي الرب وأشد من ذلك بالنسبة للعرش،فأمر الرب أجل وأجل،سبحانه لا نحصي ثناء عليه.

---

١ روح المعاني ١٦٢/١٩ . ويُنظر ١٧/١ .

٢ المصدر السابق .

٣ تهذيب اللغة ٤١٩/١٥ .

٤ الخصائص ٣٠٧/٢ .

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢ .

وإننا نرى في هذه الدنيا أن مخلوقاً ضعيفاً كالطير – مثلاً- يمسك شيئاً بمخلبه فيكون محيطاً به، وأيضاً هو فوقه، ثم هو قادر على أن يدنو منه، فكيف تُحيل العقول ذلك على الرب جل في علاه وهو الذي لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، المتصف بصفات الكمال ونعوت الجلال[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ: قُرْبَهُ سُبْحَانَهُ وَدُنُوَّهُ مِنْ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ لَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ تَخْلُوَ ذَاتُهُ مِنْ فَوْقِ الْعَرْشِ؛بَلْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَيَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ؛كَمَا قَالَ ذَلِكَ مَنْ قَالَهُ مِنْ السَّلَفِ؛ وَهَذَا كَقُرْبِهِ إلَى مُوسَى لَمَّا كَلَّمَهُ مِنْ الشَّجَرَةِ)[2] .

ثانياً : مناقشة القول الثاني

نوقش ما روي عن ابن عباس في رواية ومجاهد من أن البركة عائدة إلى النار ، بأنه خلاف الظاهر يقول الشنقيطي:(وبعده عن ظاهر القرآن واضح كما ترى)[3]. ووجه بعده أنه يستلزم الحكم على اسم الموصول(من)أنه بمعنى (ما) ثم ادعاء زيادته! دون دليلٍ بيِّن، وكلاهما خلاف الظاهر، لا يُصار إليه دون دليل وأما ما روي في القراءة الشاذة فإنه على فرض ثبوتها[4] فالواجب تأويلها لتوافق القراءة المتواترة- إن أمكن-لا تأويل المتواترة لتوافق الشاذة ، وإذا لم يمكن تأويلها فالشاذة مردودة حتماً[5].غير أنه يمكن التوفيق بين قولي ابن عباس بان يُقال : إن البركة عائدة إلى الله تعالى وإلى حجاب النور الذي حُجِب به موسى عليه السلام ، فيكون ابن عباس قد بيَّن بكل رواية مُتعلقاً للبركة ، وعلى هذا لا يلزم ردّ هذا القول.والصيرورة إلى الجمع أولى من الترجيح .

ثالثاً : مناقشة القول الثالث .

نوقش قول من قال أنه عني بذلك الملائكة : بأنه لم يثبت في المرفوع أن في النور ملائكة ، كما لم يأت في السياق القرآني ما يشهد لذلك ، وهو أمر غيبي متوقف على الدليل لا يدخله الاجتهاد ، فالجزم بذلك مُتعسّر .فهذا القول إن لم يُردّ فيتوقف فيه .

---

١ ليس القصد هنا تشبيه الخالق بالمخلوق بل بيان أن هذا غير مُحالٍ عقلاً خلافاً لزعم نفاة الصفات الإلهية .

٢ شرح حديث النزول ص٣٠٤ .

٣ أضواء البيان ٤/٣٧٠ .

٤ قال النحاس : ومثل هذا لا يوجد بإسناد صحيح . إعراب القرآن ٣/١٣٦ .

٥ قواعد التفسير ١/٩٣ .

رابعاً : مناقشة القول الرابع[1] .

نوقش قول من قال: إن المراد بذلك موسى. بأن حقيقة الظرفية تدل على كون المظروف داخل ظرفٍ لا قربه، وإطلاقها على ما قرب من الشيء يحتاج إلى قرينة تدل عليه، وهي مفتقدة هنا، كما أن جعل موسى مراداً بكونه حول النار أقرب إلى المتبادر من كونه في النار، وعليه فموسى عليه السلام داخل في البركة باعتباره حول النار لا فيها .

خامساً : مناقشة القول الخامس .

نوقش قول من قال بأن المراد بذلك البقعة. بأن كون البقعة مباركة أمر لا جدال فيه ، كيف وقد نصّت على ذلك الآية الكريمة: {فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ}القصص: ٣٠، غير أن في آية النمل جاء التعبير بمن المستعملة في العاقل فدلّ على أن المراد غير البقعة،فلو أريدت البقعة لجاء التعبير بما المستعملة في غير العاقل[2] .

سادساً : مناقشة القول السادس .

نوقش قول من قال:إن المراد بذلك الشجرة. بما سبق في مناقشة القول الخامس .يقول الألوسي راداً هذا القول:(وفي ما ذكر إطلاق مَنْ على غير العالم)[3] . يقول الرازي حاكياً قول الجبائي:(أن اللّه تعالى ناداه بكلام سمعه من الشجرة في البقعة المباركة فكانت الشجرة محلا للكلام، واللّه هو المكلم له بأن فعله فيه دون الشجرة.ثم إن الشجرة كانت في النار ومن حولها ملائكة)[4] . وحقيقة قول الجبائي هذا من التناقض بمكان إذ أنه يرى أن محل الكلام الإلهي الشجرة وفي ذات الوقت فعل الله الكلام في موسى !وإنما الذي جعل الجبائي يأتي بكل هذا عقيدته المنحرفة في كلام الله ، فهو ينفي عن الله صفاته ، ويرى أن كلام الله مخلوق، فليس الأمر من الجبائي الانتصار للنص القرآني وإنما المقرر العقدي السابق في ذهنه. ولولا أن هذا القول مسطور في تفاسير مشهورة متداولة لما ذكرته ، وإلا فالواجب تنقية التفسير من هذه الأقوال الدخيلة وأمثالها .

---

١ هذا القول وما بعده خارج عن تفسير السلف وهذا بحد ذاته مضعفٌ لها؛ لما تقرر من أن إحداث قولٍ يقتضي جهل السلف بمراد الله تعالى من كلامه غير جائزٍ،أما توسيع المدلول بما لا ينسب السلف للجهل فلا بأس به.

٢ وهذا بناء على الغالب فيهما . شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١٤٧/١ .

٣ روح المعاني ١٦٢/١٩ .

٤ مفاتيح الغيب ١٥٦/٢٤ .

الترجيح :

الراجح من هذه الأقوال القول الأول والثاني وهما المشهوران عن السلف ، وأن البركة عائدة لله تبارك اسمه وتعالى جده وإلى حجابه

وهذا الترجيح على التحقيق هو المتوافق مع الآيات الكريمات المتعددة التي تثبت أن الله تعالى نادى موسى وناجاه من ذلك الوادي المقدس ، وهو الموافق للعقل لمن تأمّل ؛ ذلك أنه إذا كان الله تعالى على الحقيقة هو المتكلم من هذا المكان فأي امتناع من أن تكون البركة عائدة للمتكلم فيه؟

ثم إن حجاب النور يشهد لدنو الله تعالى على الحقيقة ، وإلا فما الحكمة من هذا الحجاب إذا لم يكن المولى تعالى قد دنا وتكلم على الحقيقة من هذه البقعة المباركة؟

وإنما الواجب استحضار أن الله أجل من أن يحيط به مخلوق وفي ذات الوقت أن الله على كل شيء قدير ، وأنه لا يلزم على هذا القول أي معنى باطل ، ولا يجوز توهم شيء من ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْقُرْبِ : مِنْ جِنْسِ الْكَلَامِ فِي نُزُولِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ وَدُنُوِّهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ وَتَكْلِيمِهِ لِمُوسَى مِنْ الشَّجَرَةِ وَقَوْلِهِ : {فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ} النمل: ٨. وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مَا قَالَهُ السَّلَفُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ : مِثْلُ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَإِسْحَاقِ بْنِ رَاهَوَيْهِ وَغَيْرِهِمَا ؛ مِنْ أَنَّهُ يَنْزِلُ إلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَلَا يَخْلُو مِنْهُ الْعَرْشُ وَبَيَّنَّا أَنَّ هَذَا هُوَ الصَّوَابُ ؛ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِمَّنْ يَدَّعِي السُّنَّةَ يَظُنُّ خُلُوَّ الْعَرْشِ مِنْهُ)[1] .

وقال أيضاً رحمه الله : (وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ " قُرْبَهُ سُبْحَانَهُ وَدُنُوَّهُ مِنْ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ " لَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ تَخْلُوَ ذَاتُهُ مِنْ فَوْقِ الْعَرْشِ ؛ بَلْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَيَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ ؛ كَمَا قَالَ ذَلِكَ مَنْ قَالَهُ مِنْ السَّلَفِ ؛ وَهَذَا كَقُرْبِهِ إلَى مُوسَى لَمَّا كَلَّمَهُ مِنْ الشَّجَرَةِ قَالَ تَعَالَى : { فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ } النمل: ٨ – ١٠ وَقَالَ فِي السُّورَةِ الْأُخْرَى {فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ

---

١ مجموع الفتاوى ١٣١/٥ .

مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ }القصص: ٢٩ - ٣٠ وَقَالَ تَعَالَى : {وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا }مريم: ٥١ - ٥٢ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ نَادَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ وَأَنَّهُ قَرَّبَهُ نَجِيًّا، وَقَالَ تَعَالَى : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } القصص: ٤٣ - ٤٦ وَقَالَ تَعَالَى : {هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ} النازعات: ١٥ - ٢٠)

ثم ذكر رحمه الله الآثار في ذلك عن السلف ثم قال : (فَذَكَرَ أَنَّ النِّدَاءَ كَانَ مِنْ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ وَهُوَ الْوَادِي الْمُقَدَّسُ طُوًى مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ مِنْ الشَّجَرَةِ . وَذَكَرَ أَنَّهُ قَرَّبَهُ نَجِيًّا فَنَادَاهُ وَنَاجَاهُ وَذَلِكَ الْمُنَادِي لَهُ وَالْمُنَاجِي لَهُ هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا غَيْرُهُ وَنِدَاؤُهُ وَمُنَاجَاتُهُ قَائِمَةٌ بِهِ لَيْسَ ذَلِكَ مَخْلُوقًا مُنْفَصِلًا عنه وَإِذَا كَانَ الْمُنَادِي هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَقَدْ نَادَاهُ مِنْ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ وَقَرَّبَهُ إلَيْهِ ؛ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى مَا قَالَهُ السَّلَفُ مِنْ قُرْبِهِ وَدُنُوِّهِ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَنَّ هَذَا قُرْبٌ مِمَّا دُونَ السَّمَاءِ . وَقَدْ جَاءَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ وَغَيْرِهِ مِنْ الإسرائيليات قُرْبُهُ مِنْ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ وَلَفْظُهُ - الَّذِي سَاقَهُ البغوي - أَنَّهُ أَظَلَّهُ غَمَامٌ ثُمَّ نُودِيَ : يَا أَيُّوبُ ؟ أَنَا اللَّهُ يَقُولُ : أَنَا قَدْ دَنَوْت مِنْك أَنْزِلُ مِنْك قَرِيبًا لَكِنَّ الْإِسْرَائِيلِيَّات إنَّمَا تُذْكَرُ عَلَى وَجْهِ الْمُتَابَعَةِ لَا عَلَى وَجْهِ الِاعْتِمَادِ عَلَيْهَا وَحْدَهَا وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَفِي سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُرْبِهِ مِنْ الدَّاعِي وَقُرْبِهِ مِنْ الْمُتَقَرِّبِ إلَيْهِ)[1] ثم نبّه رحمه الله إلى شيء من عظمة الله وأنه أجل من أن يحيط به مخلوق فقال : فإذا كان سبحانه يطوي السموات كلها بيمينه وهذا قدرها عنده - كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة

١ شرح حديث النزول ص ٣٠٤-٣١٥ .

في يد أحدكم-وهو سبحانه بين لنا من عظمته بقدر ما نعقله- فمن هذه عظمته كيف يحصره مخلوق من المخلوقات سماء أو غير سماء؟حتى يقال:إنه إذا نزل إلى السماء الدنيا صار العرش فوقه أو يصير شيء من المخلوقات يحصره ويحيط به سبحانه وتعالى)[1].فمن استحضر عظمة الله- تعالى- زال عنه توهّم إحاطة مخلوقٍ به-جل جلاله-وتبيّن له أنه ليس في كلام السلف في آية سورة النمل ما يستوجب شناعة ولا شبهها

المطلب الثالث : خلاف المفسرين في المعنيين بمن حول النار .

ثالثاً : اختلف المفسرون في المعنيّين بمن حول النار على أقوال :

القول الأول: أن المراد بذلك هم الملائكة. وبه قال ابن عباس وعكرمة والحسن البصري وسعيد بن جبير وقتادة[2] ويحي بن سلام[3]،والفراء[4] والبغوي[5]،وغيرهم.وقد استدّل هؤلاء بالقراءة الشاذة:أن بورك من في النار ومن حولها من الملائكة[6].

القول الثاني:المراد بذلك موسى عليه السلام.وبه قال أبو صخر[7]،والنسفي[8]واستظهره أبو حيان[9].وهذا هو ظاهر النص القرآني

القول الثالث:أنه موسى والملائكة.وبه قال محمد بن كعب القرظي[10]،وابن جزي[11]، والشنقيطي[12] . قال الواحدي:هم الملائكة وموسى في قول الجميع[13] .

---

١ المصدر السابق ٣٣٩-٣٤١ .

٢ تفسير عبد الرزاق ٤٧٢/٢ ، تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٧/٩ ، النكت والعيون ١٩٧/٤ .

٣ تفسير يحي بن سلام ٥٣٤/٢ .

٤ معاني القرآن ٢٨١/٢ .

٥ معالم التنزيل ١٤٤/٦ .

٦ البسيط ١٦٩/١٧ .

٧ تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٦/٩ .

٨ تفسير النسفي ٥٩٢/٢

٩ البحر المحيط ٥٤/٧ .

١٠ تفسير ابن أبي حاتم ٢٨٤٦/٩ .

١١ التسهيل لعلوم التنزيل ٩٨/٢.

١٢ أضواء البيان ٣٧٠/٤ .

١٣ البسيط ١٦٨/١٧ .

القول الرابع : نور الله . حكاه الزجاج[1] وابن سيده[2] ، وقريب منه ما حكاه الألوسي عن عن بعض المحققين وصححه من أنه الله تعالى[3] ، واحتجّ له بقول الله تعالى : {وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ} البقرة: ١١٥.

القول الخامس : أنه يشمل كل من كان حوالي ذلك المكان من أرض الشام . وهو قول الزمخشري[4] .

مناقشة الأقوال :

مناقشة القول الأول :نوقش هذا القول بأن فيه أخذاً بدلالة القراءة الشاذة وإغفالاً لظاهر النص الصريح المتواتر في كون موسى عليه السلام حول النار ، لا سيما وأصحاب هذا القول لا يرون موسى داخلاً في مدلول الظرفية.

مناقشة القول الثاني : نوقش هذا القول بأنه لا يمتنع إرادة الملائكة مع موسى لا سيما وقد دلّ على ذلك القراءة الشاذة التي لا تُعارض المتواترة.

مناقشة القول الرابع : نوقش هذا القول بأن الدليل قام على كون النور الإلهي داخلاً في الظرفية ، وليس ثمة دليل على كونه داخلاً في مدلول {مَن فِي ٱلنَّارِ} فالقول به محتاج إلى دليل وليس ثمة . وأما ما احتجّ به الألوسي فبعيد جدا فالآية التي ذكرها تدلّ على إحاطة الله تعالى بكل شيء ، وليس على التجلي الإلهي ، وفرقٌ شاسع بينهما[5] .

مناقشة القول الخامس : نوقش بأن اللسان العربي لا يُساعد عليه، فالأصل في لسان العرب أن ما حول الشيء يكون قريباً منه ، وما ذكره من إدخال جميع أرض الشام يتضمن جعل مناطق بعيدة للغاية داخلة في معنى الحولية ، وهذا ما لا يتفق وظاهر النص .

الترجيح :

الذي يظهر والعلم عند الله صواب قول من قال : إن المراد بذلك موسى عليه السلام والملائكة ؛ لاعتمادها على الدليل ، ولعلّ قول من اقتصر على الملائكة هو من باب التنبيه على ما قد يغيب لأول وهلة ، و عدم ذكرهم لموسى ليس من باب ردّ هذا القول وإنما لّما كان واضحاً بجلاء من دلالة النص فلم يكن هناك حاجة للتنبيه عليه .

---

١ معاني القرآن وإعرابه ٤/١٠٩ .

٢ المحكم ١٠/٣٢٠ .

٣ جلاء العينين ١/٤٧٣ .

٤ الكشاف ٣/١٣٧ .

٥ يظهر هنا تأثير الخلفية الصوفية للألوسي التي تُحمّل التجلي ما لا يحتمل .

الخاتمة :

ظهر لنا من خلال هذا البحث النتائج التالية :

١- أجمع المفسرون على أن النار التي رآها موسى هي حجاب لله تعالى .

٢- ذهب جماهير المفسرين إلى أن هذا الحجاب هو حجاب النور المذكور في حديث أبي موسى الأشعري ،وهذا هو القول الصحيح .

٣- اختلف المفسرون في المراد بمن في النار في الآية الكريمة على أقوال ، منها ثلاثة أقوال للسلف وهي :

أ- المراد بذلك الله جل جلاله .

ب- المراد بذلك النار .

ج- المراد بذلك الملائكة .

٤- القول الراجح من هذه الأقوال هو القول الأول .

٥- اختلف المفسرون في المراد بمن حول النار على أقوال ، منها ثلاثة أقوال للسلف وهي :

أ- المراد بذلك الملائكة .

ب- المراد بذلك موسى عليه السلام .

ج- المراد بذلك موسى عليه السلام والملائكة .

٦- القول الراجح من هذه الأقوال هو القول الثالث .

٧- ظهر في هذا البحث تأثر جماعة من المفسرين عند تناولهم النص القرآني بخلفياتهم العقدية ، الأمر الذي يستدعي من الباحث في التفسير التنبه له حال إجراء المقارنة بين أقوال المفسرين ، وكذلك أن يكون عند الباحث في التفسير خلفية عقدية تُمكنه من اكتشاف مواقع الخلل عند المفسرين .

٨- يحصل من بعض المفسرين تحميل كلام السلف ما لا يحتمل-كما ظهر في هذا البحث-وهنا ينبغي على الباحث في التفسير بادئ ذي بدء الحرص على حمل كلام السلف على أحسن المحامل،وملاحظة احتمال سوء فهم كلام السلف في النص القرآني من بعض المفسرين .

هذا وأوصي بعد ختام هذا البحث بما يلي :

١- الاهتمام بتدريس العقيدة للمعتنين بالتفسير .

٢- إجراء المزيد من البحوث حول ما يشكل من آيات بحيث تكون أمثلة سليمة على التعامل السليم مع الآيات المتشابهات .

٣- لفت أنظار دارسي مناهج المفسرين إلى تأثر المفسرين بمقرراتهم السابقة ، واستخراج الأمثلة على ذلك .

هذا والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المراجع

الكتاب	المؤلف	المحقق	الناشر	تاريخ النشر
فيض الباري شرح صحيح البخاري	محمد أنور الكشميري	محمد بدر الميرتمي	دار الكتب العلمية	ط١ ١٤٢٦هـ
تفسير القرآن العظيم	عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي	أسعد محمد الطيب	مكتبة نزار الباز	ط٣ ١٤١٩هـ
العلو للعلي الغفار	محمد بن أحمد الذهبي	أشرف عبد المقصود	أضواء السلف	ط١ ١٤١٦هـ
المقدمات الأساسية في علوم القرآن	عبد الله بن يوسف الجديع	-	مركز البحوث الإسلامية بليدز	ط١ ١٤٢٢هـ
أسانيد نسخ التفسير	عطية نوري الفقيه	-	دار كنوز إشبيليا	ط١ ١٤٣١هـ
الدر المنثور في التفسير بالمأثور	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي	-	دار الفكر	-
تفسير عبد الرزاق	عبد الرزاق بن همام الصنعاني	محمود محمد عبده	دار الكتب العلمية	ط١ ١٤١٩هـ
تفسير يحيى بن سلام	يحيى بن سلام التيمي	هند شلبي	دار الكتب العلمية	ط١ ١٤٢٥هـ
معالم التنزيل في تفسير القرآن	الحسين بن مسعود البغوي	عثمان جمعة ضميرية وآخرون	دار طيبة	ط٤ ١٤١٧هـ
تفسير السمعاني	منصور بن محمد السمعاني	ياسر إبراهيم وعباس غنيم	دار الوطن	ط١ ١٤١٨هـ
الوسيط في تفسير القرآن المجيد	علي بن أحمد الواحدي	عادل عبد الموجود وآخرون	دار الكتب العلمية	ط١ ١٤١٥هـ
البسيط في التفسير	علي بن أحمد الواحدي	مجموعة من الباحثين	جامعة الإمام محمد بن سعود	-

الكتاب	المؤلف	المحقق	الناشر	تاريخ النشر
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية	محمد بن علي الشوكاني	–	دار ابن كثير	ط١ ١٤١٤هـ
الكشف والبيان	أحمد بن محمد الثعلبي	أبو محمد بن عاشور	دار إحياء التراث العربي	ط١ ١٤٢٢هـ
تفسير القرطبي	محمد بن أحمد القرطبي	أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش	دار الكتب المصرية	ط٢ ١٣٨٤هـ
تفسير الطبري	محمد بن جرير الطبري	عبد الله التركي	دار هجر	ط١ ١٤٢٢هـ
العظمة	عبد الله بن محمد أبو الشيخ	رضاء الله إدريس	دار العاصمة	ط١ ١٤٠٨هـ
تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي	نظر محمد الفاريابي	مكتبة الكوثر	ط١ ١٤١٤هـ
جامع التحصيل في أحكام المراسيل	أبو سعيد بن خليل العلائي	حمدي السلفي	عالم الكتب	ط٢ ١٤٠٧هـ
شرح شرح نخبة الفكر	علي بن محمد القاري	علي بن سلطان محمد	دار الأرقم	–
صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل البخاري	عناية أبي صهيب الكرمي	بيت الأفكار الدولية	–
صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج النيسابوري	–	دار السلام للنشر والتوزيع	ط١ ١٤١٩هـ
فتح المغيث	عبد الله بن محمد السخاوي	السيد علي حسين	دار الإمام الطبري	ط٢ ١٤١٢هـ
تعجيل المنفعة	أحمد بن محمد ابن حجر العسقلاني	عبد الله هاشم المدني	مكتبة ابن تيمية	–

الكتاب	المؤلف	المحقق	الناشر	تاريخ النشر
روح المعاني	محمود شكري الألوسي	–	دار إحياء التراث العربي	–
تفسير مجاهد	مجاهد بن جبر المكي	عبد الرحمن السورتي	المنشورات العلمية	–
تهذيب التهذيب	أحمد بن علي بن حجر	–	دائرة المعارف النظامية	ط١ ١٣٢٦هـ
تقريب التهذيب	أحمد بن علي بن حجر	محمد عوامة	دار الرشيد	١٤٠٦هـ
مجموع الفتاوى	ابن تيمية	عبد الرحمن بن قاسم	وزارة الشئون الإسلامية بالسعودية	–
المحرر الوجيز	عبد الحق بن عطية الأندلسي	الرحالة الفاروق وآخرون	وزارة الأوقاف في دولة قطر	ط٢ ١٤٢٨هـ
زاد المسير في علم التفسير	عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي	زهير الشاويش	المكتب الإسلامي	ط٤ ١٤٠٧هـ
أضواء البيان	محمد الأمين الشنقيطي	إشراف بكر أبو زيد	دار عالم الفوائد	ط١ ١٤٢٦هـ
النكت والعيون	علي بن محمد الماوردي	السيد ابن عبد المقصود	دار الكتب العلمية	–
تفسير القرآن العظيم	إسماعيل ابن كثير القرشي	سامي السلامة	دار طيبة	ط٢ ١٤٢٠هـ
معاني القرآن	يحيى بن زياد الفراء	أحمد نجاتي وآخرون	دار المصرية للتأليف	–
المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات	عثمان بن جني الموصلي	–	وزارة الأوقاف بمصر	١٤٢٠هـ

الكتاب	المؤلف	المحقق	الناشر	تاريخ النشر
الكواكب النيرات	محمد بن أحمد ابن الكيال	عبد القيوم عبد رب النبي	المكتبة الإمدادية	ط٢ ١٤٢٠هـ
تهذيب الكمال في أسماء الرجال	يوسف بن عبد الرحمن المزي	بشار عواد معروف	مؤسسة الرسالة	ط١ ١٤٠٠هـ
تفسير النسفي	عبد الله بن أحمد النسفي	يوسف علي بديوي	دار الكلم الطيب	ط١ ١٤١٩هـ
التحرير والتنوير	محمد الطاهر ابن عاشور	-	الدار التونسية	١٩٨٤م
إعراب القرآن المنسوب للزجاج ولعله للباقولي	علي بن الحسين الباقولي	علي الأبياري	دار الكتاب المصري	ط٤ ١٤٢٠هـ
الكشاف عن حقائق التنزيل	محمود بن عمر الزمخشري	-	دار الفكر	-
تفسير السعدي	عبد الرحمن ناصر السعدي	-	مؤسسة الرسالة	ط٩ ١٤١٨هـ
البحر المحيط	محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي	عادل عبد الموجود وآخرون	دار الكتب العلمية	ط١ ١٤١٣هـ
مفاتيح الغيب	محمد بن عمر الرازي	-	دار الكتب العلمية	ط١ ١٤١١هـ
شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى	محمد بن صالح العثيمين	-	دار الآثار	ط١ ١٤٢٣هـ
تهذيب اللغة	محمد بن أحمد الأزهري	محمد عوض مرغب	دار إحياء التراث العربي	ط١ ٢٠٠١م
الخصائص	عثمان بن جني	-	الهيئة المصرية العامة للكتاب	ط٤

الكتاب	المؤلف	المحقق	الناشر	تاريخ النشر
قواعد الترجيح عند المفسرين	حسين علي الحربي	-	دار القاسم	ط١ ١٤١٧هـ
شرح حديث النزول	أحمد ابن تيمية	محمد عبد الرحمن الخميس	دار العاصمة	ط١ ١٤١٤هـ
إعراب القرآن	أحمد بن محمد النحاس	عبد المنعم خليل إبراهيم	دار الكتب العلمية	ط١ ١٤٢١هـ
قواعد التفسير	خالد بن عثمان السبت	-	دار ابن عفان	ط١ ١٤١٧هـ
التسهيل لعلوم التنزيل	محمد أحمد بن جزي	عبد الله الخالدي	دار الأرقم	ط١ ١٤١٦هـ
معاني القرآن وإعرابه	إبراهيم بن السري الزجاج	عبد الجليل عبده شلبي	عالم الكتب	ط١ ١٤٠٨هـ
المحكم والمحيط الأعظم	علي بن إسماعيل ابن سيده	عبد الحميد هنداوي	دار الكتب العلمية	٢٠٠٠م
جلاء العينين في محاكمة الأحمدين	نعمان محمود الألوسي	علي السيد المدني	مطبعة المدني	١٤٠١هـ
شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك	عبد الله بن عقيل العقيلي	محمد محيي الدين عبد الحميد	مكتبة دار التراث	ط٢٠ ١٤٠٠هـ